

الحلقة الرابعة  
القَصَصُ الدُّنْيَا  
العَرَبُ فِي أَوْرَبَا

صَقْرُ قَيْشٍ

عبد الحميد جودة السحار



زَالَ مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَاسْتَبَّ الْأَمْرُ  
لَأَبِي الْعَبَّاسِ ، أَوَّلِ خَلِيفَةِ عَبَّاسِيٍّ ، وَانْتَقَلَ الْمَلِكُ مِنْ  
« دِمَشْق » إِلَى « بَغْدَاد » .

وَوَلَّى أَبُو الْعَبَّاسِ عَمَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ الشَّامَ ،  
فَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّ أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ وَصَّاهُ بِهِمْ ، وَأَمْرَهُ بِصَلَاتِهِمْ ، وَإِحْقَاقِهِمْ فِي  
دِيَوَانِهِ ، وَرَدَّ أَمْوَالَهُمْ عَلَيْهِمْ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ أَكَابِرِ  
بَنِي أُمَيَّةَ وَخِيَارِهِمْ ، ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا ، كَانَ فِيهِمْ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ .

انْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِيَدْخُلَ عَلَى الْأَمِيرِ ، وَفِيمَا هُوَ  
فِي طَرِيقِهِ ، لَقِيَهِ رَجُلٌ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ،  
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

- أَطِيعْنِي الْيَوْمَ فِي كَلِمَةٍ ؛ ثُمَّ اعصِني إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : « وَمَا أَطِيعُكَ فِيهِ الْيَوْمَ ؟ » .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : « أَذْرِكُ مَوْضِعَ سُلْطَانِكَ

وَقَاعِدَتِكَ الْمَغْرِبِ . النَّجَاءُ النَّجَاءُ ! فَإِنَّ هَذَا غَدْرٌ

مِنَ السَّفَاحِ ، وَهُوَ يُرِيدُ قَتْلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ » .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : « وَيَحْكُ ، إِنَّهُ كِتَابُ أَبِي

الْعَبَّاسِ قَدِمَ عَلَيْهِ ، يَأْمُرُهُ فِيهِ بِصِلَتِنَا ، وَرَدَّ أَمْوَالِنَا

إِلَيْنَا ، وَإِلْحَاقِنَا بِالْعَطَاءِ الْكَامِلِ ، وَالرِّزْقِ الْوَافِرِ » .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ فِي حِمَاسَةٍ : « وَيَحْكُ الْغَفْلُ !

وَاللَّهِ لَا يَسْتَقِرُّ مَلِكُ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَلَا يَسْتَوْلُونَ عَلَى

سُلْطَانٍ ، وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ » .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ :

- مَا أَنَا بِالَّذِي يُطِيعُكَ فِي هَذَا .

فراح الرجل يتوسل إليه ، قال :

- النجاء النجاء . والهرب الهرب ، فاخرج فأنا  
معك ، ومالي لك ، ولي عشرون ألف دينار  
مصرورة ، كنت أعددتها لهذا الوقت .

وظلَّ الرجلُ يُجادِلُه ، حتَّى أقنعه بالهرب ، فخرجَ  
عبدُ الرَّحْمَنِ يُريدُ المغرب ، ودخلَ أكابرُ بني أُمَيَّةٍ  
على عبدِ اللَّهِ بنِ عَلِيٍّ ، فقتلَهُمْ ، وأخذَ أموالَهُمْ .

٢

سارَ عبدُ الرَّحْمَنِ ومولاهُ بدرٌ إلى المغرب ؛ ولما  
استقرَّ به المَقام ، واطمأنَّ أَنَّهُ أصبحَ بعيدًا عن أمراءِ  
بني العَبَّاسِ ، بعثَ مولاهُ بدرًا إلى الأندلسِ ، يدعو  
له ، ويُمهِّدُ لدخوله عندَ شِيعَةِ بني مروانَ هناك .



وبلغ بدرّ الأندلس ، وكانت العدوات ناشبة بين  
اليمنية والمضريّة ، فاتّفقت اليمنية على توليته ،  
وشدّ أزره ، إذا ما وفد إلى الأندلس ، ورجع بدر  
مولاة إليه بالخبر .

وفى سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فى خلافة أبى  
جعفر المنصور ، أجاز عبد الرحمن بن معاوية البحر  
وحده ، لا يُرافقه إلا بدرّ مولاة ، وشبابه ، وعزيمته  
الماضية ، وعقله الرّاجح ، وإرادته الحديدية ،  
وحذقه الشديد ، وشخصيته الجبّارة القويّة .

ونزل بساحل الأندلس ، فأتاه قوم من أهل  
إشبيلية فبايعوه ؛ ثمّ انتقل إلى كورة ريّة ، فبايعه  
عاملها ؛ وانطلق إلى قرطبة ، فاجتمعت إليه اليمنية ،  
ونمى خبره إلى والى الأندلس ، يوسف

ابن عبد الرحمن الفهرى ، وكان غازيا بجليقية ،  
فرجع إلى قرطبة ، ليرى ما يجرى هناك .

وقابل يوسف وزيره الصميل بن حاتم ، وحادثه  
فى أمر عبد الرحمن ، الذى جاء من المشرق يطلب  
البيعة لنفسه ، فأشار عليه الوزير بالتلطف له ،  
والمكر به ، لكونه صغير السن ، حديث عهد بنعمة ،  
فحاول يوسف أن يستميل عبد الرحمن الداخل ،  
وأن يمكر به . ولكن باءت محاولته بالإخفاق ، فقد  
كان عبد الرحمن صغير السن حقا ، ولكنه كان  
راجح العقل فطنا ، ولم يكن من الميسور أن  
يستدرج ، ليمكر به يوسف والصيل .

وعلا ذكر الداخل ، وتوافت إليه جنود الأمصار ،  
وتدفقت عليه المضريّة ، ولم يبق مع يوسف غير

الفهرية والقيسية ، فزحف الداخل بجيوشه ، ليَقْضَى  
على يوسفَ ومن معه ، ليستتبَّ له الأمرُ في  
الأندلس .

والتقى الجمعان بظاهر قرطبة ، وانتصر عبدُ  
الرحمن ، وانكشف يوسف ، ولجأ إلى غرناطة ،  
فتحصن بها ؛ وانطلق خلفه الأمير عبد الرحمن ،  
ليجهز عليه ، حتى أصبح الأندلسُ له وحده ،  
لا يَنازعه فيها مُنازع .

٣

لم يكنْ لأُمراء المسلمين في الأندلسُ شغلٌ إلا قتالُ  
بعضهم بعضا ، لم يكونوا من بيوت عريقة في الملك ،  
ولم يكنْ لهم تراث . أمّا عبدُ الرحمن ، فقد كان بقيّة



أسرة مالكة ، لها حضارتها وآثارها ؛ فلما استتب له الأمر ، راح يبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة ، ويضع بذور أعظم حضارة للمسلمين في الأندلس . وكان هدف المسلمين في الأندلس ، الاستيلاء على فرنسا ، والانطلاق منها إلى أوربة ، وكانت الإمدادات الإسلامية تصل إلى الأندلس ، من الشام ومصر والمغرب ؛ أما وقد أصبح العباسيون حكام المشرق ، وأصبح عبد الرحمن الداخل وحده في الأندلس ، فقد صار غزو فرنسا صعبا ، فما كانت الأندلس وحدها بقادرة على تجهيز حملات عظيمة ، كفيلة بالاستيلاء على أوربة .

كانت فرنسا يشتد ساعدها يوما بعد يوم ، فقد أصبحت كلها وحدة واحدة ، في يد « يبين » ؛



وكانت قادرةً لدى الحاجة أن تستعين بجيوش جرارة  
من ألمانيا وبلجيكا وإيطاليا ، فلم يعد مسلمو  
الأندلس ، المهاجمين لمسيحيي فرنسا ، بل انقلب  
الأمر ، وأصبح « يبين » يهدد حصون العرب  
الأمامية في فرنسا ، ويؤلب الثائرين على أمرهم في  
قرطبة ، ومما زاد الطين بلة ، التنافس الشديد بين  
الخليفة في بغداد ، والأمير في قرطبة ، ؛ فقد أرسل  
المنصور ، الخليفة العباسي ، من سواحل إفريقية ،  
أسطولاً لمحاربة عبد الرحمن الداخل ، ليضم  
الأندلس إلى ملكه ، ولتوحيد الدولة الإسلامية ،  
كما كانت لعهد بني أمية .

ونزل قائد أسطول المنصور بياجة الأندلس ، داعياً  
لأبي جعفر ، وقد نشر اللواء الأسود ، شعار

العبَّاسيين ، فاجتمع إليه الأمراء الشائرون ؛ ولكنَّ  
عبدَ الرَّحْمَنِ لَقِيَهُ بنواحي إشبيلية ، فقاتله أيَّامًا حتى  
هزَّمه ، وقتلَه في سبعةِ آلافٍ من أصحابه ، وبعثَ  
عبدُ الرَّحْمَنِ برءوسٍ كثيرٍ منهم إلى القيروان ومكة ،  
فألقيت في أسواقها سرًّا ، ومعها اللِّواءُ الأسود ،  
وكتابُ المنصورٍ لقائدِ أسطولِهِ .

وبلغَ المنصورُ ذلك ، فارتاع وقال :

- ما هذا إلا شيطان ، والحمدُ لله الذي جعلَ بيننا  
وبينه البحر .

#### ٤

تَيَقَّنَ « بيبين » مَلِكُ فرنسا ، من العداوةِ الناشئةِ  
بينَ بغدادَ وقُرطُبةَ ، فلم يكتفِ بالتَّضريبِ بينَ أمراءِ  
المُسلمين ، بل رأى أن يستعينَ بالمنصورِ على



عبد الرحمن الداخل ، عدوُّهما المشترك . فَبَعَثَ  
رُسُلَهُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَلَبَثُوا بِهَا ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ رَجَعُوا  
إِلَى فَرَنْسَا وَمَعَهُمْ رِسَالُ الْخَلِيفَةِ ، فَنَزَلُوا فِي مَرْسِيلِيَا ،  
وَصَعِدُوا إِلَى مَقَرِّ « بِيَّيْن » ، فَبَالَغَ فِي الْإِحْتِفَاءِ  
بِهِمْ ، وَقَضَوْا ذَلِكَ الشَّتَاءَ فِي مَدِينَةِ « مِتر »  
بِاللُّورِينَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِقَامَتِهِمْ فِي قَصْرِ سِلْسِ عَلَى  
ضِفَافِ اللُّوَارِ ، ثُمَّ أُعِيدُوا إِلَى الشَّرْقِ عَنْ طَرِيقِ  
مَرْسِيلِيَا ، وَمَعَهُمُ الْهَدَايَا إِلَى الْخَلِيفَةِ .

وَفَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ ، فِي  
مَدِينَةِ « أَرْبُونَةِ » وَمَا يَلِيهَا مِنْ جَنُوبِيَّ فَرَنْسَا ،  
فَسَرَّحَ جَيْشًا زَحَفَ إِلَى الْبِيرَانِيَةِ ، لِرَفْعِ الْحِصَارِ عَنْ  
« أَرْبُونَةِ » .

كَانَ جَهْوَراً أَهْلُ « أَرْبُونَةِ » مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ ، وَقَدْ

أَثَقَلَتْ كَاهِلَهُمُ الْحُرُوبُ ، فَبَعَثُوا إِلَى « بَيْيْن » سِرًّا ،  
يَتَّفِقُونَ مَعَهُ أَنْ يَنْتَفِضُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَيَنْضَمُّوا  
إِلَى جَيْشِهِ ، عَلَى أَنْ يَكُونُوا أَحْرَارًا فِي بِلَدَتِهِمْ ، وَأَنْ  
تَكُونَ إِدَارَةُ شُؤْنِهِمْ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَوَافِقَ « بَيْيْن »  
عَلَى ذَلِكَ ، فِي غَفْلَةٍ مِنَ الْحَامِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

كَانَتِ الْحَامِيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَظْمِنَةً لِأَهَالِي  
« أَرْبُونَةَ » ، وَفِي غَفْلَةٍ مِنْهَا هَجَمَ الْأَهْلُونَ عَلَيْهَا ،  
وَأَعْمَلُوا سِيُوفَهُمْ فِيهَا ، فَذَبَحُوهَا عَنْ آخِرِهَا ،  
وَدَخَلَهَا « بَيْيْن » وَشَحَنَهَا بِالْحُرَّاسِ ، وَانْقَرَضَتْ  
مِنْهَا حُكُومَةُ الْإِسْلَامِ .

صَارَ الْمُسْلِمُونَ يَبْغُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا . رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ  
ظِلَّ الْإِسْلَامِ يَتَقَلَّصُ ، وَعَلَى ذَلِكَ كَانُوا يُبْرَمُونَ  
مَعَاهدَاتٍ ، وَيُقِيمُونَ عِلَاقَاتٍ مَعَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ



يُنَاوِثُونَ الْإِسْلَامَ ، لِيَعُودَ حَيْثُ بَدَأَ .

٥

مات « يَبِينُ » وصارَ ابْنُه شارلمانَ ملكاً على فرنسا ، فاتَّبَعَ خُطَّةَ أَبِيهِ ، فَأَخَذَ يُحَرِّضُ أَمْراءَ الأَنْدَلُسِ ، مِنْ مُسْلِمِينَ وَمَسِيحِيِّينَ ، عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمِيرِ قُرْطُبَةٍ . كَانَ يَقُولُ لِهَذَا الْفَرِيقِ : إِنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُحَرِّرَهُمْ مِنْ اسْتِبْدَادِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَيَقُولُ لَذَلِكَ الْفَرِيقِ : إِنَّهُ حَامِي النَّصْرَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ ، الْحَافِظُ لِلْكَنِيسَةِ .

وَنَارَ أَمِيرَانِ مِنْ أَمْراءِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَقَاطِعَةِ نَهْرِ إِبْرَةِ ، عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَاجْتَازا الْبِيرَانِيَةَ قَاصِدِينَ شَارلمانَ ، وَاسْتَعْدَيَاهُ عَلَى أَمِيرِ قُرْطُبَةٍ . كَانَ شَارلمانُ

يرقبُ هذه الفرصة ، حتى ينقضَّ على إسبانيا ،  
ويعلكَ ولو جانباً منها ، فأمرَ بتعبئة الجيوش ،  
وسرعانَ ما خفَّت إليه جيوشُ من ألمانيا وفرنسا  
ولمبارديا ، وزحفَ بهم إلى البيرانيه .

كان شالمانُ واثقاً من أنَّ الأهلينَ سرعانَ ما  
ينضمُّونَ إليه في مسيره ، ولكن أخطأَ حدسه ، فقد  
ثارَ المسلمونَ في وجهه ، وقاتلوه قتالاً مريراً .  
وتكشفَ له أنَّ الأمراءَ إنما استعانوا به لينالوا  
استقلالهم ، لا ليستبدلوا عبدَ الرحمنَ بشارلمان .

وثارَ مسيحيُّو الجبالِ عليه ، فقد عَقَدُوا العزمَ على  
ألا يخضعُوا لحكمِ أجنبيٍّ أيًّا كان ، فما وصلَ  
شارلمانُ إلى البيرانيه ، حتى وجدَ نفسه مُحاطاً  
بالأعداء .



تَحَصَّنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي سَرَقِسطَةَ ، فَتَكَسَّرَتْ عَلَيْهَا  
هَجَمَاتُ شَارلمانَ ، وَأَخْفَقَ فِي الاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ،  
وَبَيْنَمَا شَارلمانُ فِي حَرْبِهِ ، إِذْ جَاءَهُ الصَّرِيخُ بِأَنَّ أُمَّةَ  
السَّكْسُونِ أَبَتْ أَنْ تَتْرَكَ وَثَنِيَّتَهَا ، وَبِأَنَّهَا هَبَّتْ  
لِلْقِتَالِ ، فَاضْطُرَّ شَارلمانُ إِلَى مَغَادِرَةِ إِسبَانِيَا .

٦

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي كِفَاحٍ دَائِمٍ ، لِتَوْطِيدِ مَلِكِهِ ،  
الَّذِي أَسَّسَهُ بِقُوَّةٍ سَاعِدِهِ وَحَسَنَ تَدْبِيرِهِ . وَكَانَ  
يُضْطَرُّ إِلَى الشَّدَّةِ أحيانًا ، لِيُرْهَبَ عَدُوُّهُ ، وَلَكِنَّهُ  
كَانَ حَلِيمًا عَاقِلًا ، مُحِبًّا لِلْعُلُومِ .

لَقَدْ قَذَفَ نَفْسَهُ فِي لُجَجِ الْمَهَالِكِ ، لِابْتِنَاءِ مَجْدِهِ ،  
فَاقْتَحَمَ جَزِيرَةَ شَاسَعَةَ ، تَتَقَسَّمُ جُنْدُهَا الْعَصَبِيَّاتِ ،

فاحتالَ حتى أُسْلِسَ له قِيَادُ الأَمْرِ ، وَأُسِّسَ دَوْلَةٌ  
مَرهُوبَةٌ الجَانِبِ ، يَخْشَاهَا الْفَرَنْجُ ، وَلَا يَجْرُؤُ عَلَى  
مُتَنَاوَلِهَا خُلَفَاءُ بَغْدَادَ .

وَقَدْ أُعْجِبَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ بِهِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا  
كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ عَدَاوَةٍ ، فَكَانَ يَسْمِيهِ « صَقْرَ  
قُرَيْشٍ » ، لَمَّا رَأَى أَنَّهُ فَعَلَ بِالْأَنْدَلُسِ مَا فَعَلَ ،  
وَأَنَّهُ نَهَدَ إِلَيْهَا مِنْ أُنَايِ دِيَارِ الْمَشْرِقِ ، مِنْ غَيْرِ عِصَابَةٍ  
وَلَا أَنْصَارٍ ، فَغَلَبَ أَهْلَهَا عَلَى أَمْرِهِمْ ، وَتَنَاوَلَ الْمُلْكَ  
مِنْ أَيْدِيهِمْ ، بِقُوَّةِ شَكِيمَةٍ ، وَمُضَيِّ عَزْمٍ ، حَتَّى انْقَادَ  
لَهُ الْأَمْرُ .

وَمَاتَ « صَقْرُ قُرَيْشٍ » عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ  
ابْنِ هِشَامٍ ، بَعْدَ أَنْ أُسِّسَ مُلْكًا جَدِيدًا فَرِيدًا لِبْنِي  
أُمَيَّةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ بَعْدَهُ ابْنُهُ هِشَامًا .  
كَانَ عَظِيمًا ، وَكَانَ جَلِيلًا ، حَتَّى إِنَّ أَعْدَاءَهُ  
تَرَحَّمُوا عَلَيْهِ يَوْمَ أَنْ مَاتَ .